بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ
مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ
وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾

سُورَةُ المَائِدَة

إهـــداء

الى روح ابى ... وامى .. رحمهم الله .

ذكرى الحب والمودة .. واعترافا بالفضـل .

دكتورة سـلوى على سـليم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم تعد ظاهرة انتشار تعاطى المخدرات بين الشباب فى مصر من الظواهر الاجتماعية ، التى يمكن الحديث عنها بالوسائل والأساليب العلمية فقط ، وانما اصبحت ـ فى خطورتها ـ تحتاج الى ذلك ، ومعه قدرا عاليا من الوعى بها ، والدعوة المستمرة الى القضاء عليها ، بكل الأساليب المتاحة ، وابتكار وسائل واساليب اخرى تتناسب مع خطورتها واهدافها التدميرية .

لأن المسألة لم تعد تنحصر فى فرد يذهب الى « شلة » او جماعة من الأصدقاء ، يتحلقون حول « الجوزة » فيدخنون كثيرا او قليلا ، ثم يذهب كل منهم الى حال سبيله ، بعد أن يكون كل واحد منهم قد حصل على بعض ما يعتقد انه « مزاج » من « تعميرة » لأن من كان يفعل ذلك ، يمكنه أن يعيش على هذا المنوال لعدة سنوات الى ان ياتيه الوقت والظروف المناسبة التى تفرض عليه الاقلاع عن هذا المزاج ، سواء أكانت ظروف اقتصادية او اجتماعية ، او ما يتعلق منها بسمعته ومكانته أمام زملائه ، او أمام ابنائه .

لقد تطور ذلك كله الآن ، واصبح مع السموم البيضاء كالكوكايين والهيروين والعقاقير بانواعها ، خطرا يدمر المتعاطى ، فالعلم الحديث يعرف الادمان بانه مرض له مواصفات عامة ، ولكنه مرض لا شفاء منه ، بمعنى أن المريض اذا أخذ المادة المخدرة ، فانها تحدث ضررا عضويا لا شفاء منه الا بعد فترة طويلة ، وذلك لأن المادة المخدرة تحدث خللا فى السوائل الكيميائية الموجودة فى المخ ، وفى بعض الحالات تحدث المادة المخدرة اضرارا لا شفاء منها ، حتى وان اقلع المدمن عن الادمان . !!

والأشعة المقطعية التى أخذت لبعض المدمنين للهيروين كشفت عن وجود ضمور حاد فى الجزء الأمامى من المخ ، وهذا لا يمكن علاجه ، كما أن هذا الضمور يؤدى الى تغيير سلوك الانسان ، وهلاكه . !!

نحن اذن أمام خطر داهم ، ومدمر ، يتحول المتاطى فيه من مجرد متعاطى الى مدمن فى أقل من ثلاثة أسابيع ، وان أحدهم لو زاد فى الجرعة ولو عن طريق السهو والخطأ ، فانه يخر صريعا ، حتى ولو كان مكتمل الصحة وفى عنفوان الشباب ٠ !!

صحيح أن ظاهرة تعاطى المخدرات وادمانها أصبحت ظاهرة عالمية ، ونحن جزء من هذا العالم الردىء ، ولكن الصحيح أيضا أن المجتمع المصرى مجتمع ما زال يبحث عن نفسه : اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، هو مجتمع ما زال فى مرحلة النمو ، وليس كتلك المجتمعات التى انتهت تقريبا من معظم مشاكلها الانمائية والانتاجية ، وعرفت طريقها الخاص الى التقدم والازدهار والرقى ٠٠ فلماذا نتمسك بسلبيات هذه المجتمعات المتقدمة ، ونتغافل عن ايجابياتها ٠٠ ؟

وعلينا ونحن نفكر فى هذا كله أن نسأل سؤالا أساسيا هو :

لماذا المخدرات ؟

لقد ثبت من الدراسات المتعددة ، التى أجريت فى مجال تعاطى المخدرات « أن التعاطى يفسر بأنه اضطراب فى الأداء الاجتماعى ، الذى يؤدى الى نوع من الخلل ، أو ان يكون التعاطى نتيجة هذا الخلل »(١) ٠

وان ارتباط انتشارها بالتغير الاجتماعى ، يعنى أن الشباب فى اطار هذا التغير لا يجدون الدور الاجتماعى المناسب ، فيشعرون بالعزلة والغربة والعجز والاحباط ، فيقررون : اما تحدى المجتمع بتدمير أنفسهم ، أو بالانسحاب منه ، وهو أيضا تدمير لطاقاتهم ، وفى كل الأحوال يلجئون الى المخدرات لتحقيق ذواتهم ، من خلال الوهم والخيال الذى تعطيهم اياه المخدرات بأنواعها ٠

---

(١) Davidc. Twice addiction, : Eneyclopedia of Social work . O. I. (N. A. of S. W.) 1925 - Hs . N. W. Washington D. C. 20005 , 1977 p. 36.

وهناك علاقة بين تعاطى المخدرات ، والمعايير والقيم الاجتماعية المتصارعة نتيجة التغير الاجتماعى ، والتى تحتوى عليهـا الثقافة العامة ، والثقافات الفرعية للجماعات فى المجتمع ٠

وان المخدر : هو وسـيلة المتعاطى للبحث عن الأمان أو البديل ، أو تجنب القلق ، الذى يصاحب عملية التنشئة الاجتماعية ٠

وان المدمن فى العادة شخص يفتقد الحنان والحب والرعاية الأسرية فيهرب من مشاكل اسرته بحثا عن الخلاص فى المخدرات ٠

وان صحبة السوء التى طحنتها المشـاكل الاجتماعية ، والتدهور الاجتماعى يقومون بغواية المتعاطين الجدد ، لكى ينضموا الى صفوفهم ، فيزداد المدمنون يوما بعـد يوم ٠

ونظرة متأنية الى المجتمع المصرى ، تؤكد لنا انه مجتمع متدين بطبعه ، وان بناءه الاجتماعى ، اغلبيته السـاحقة من المسلمين ، وان الاسـلام يعتبر مصدرا اساسيا من مصادر التشريع المصرى ، والاسـلام فيه بأوامره ونواهيه ، يعتبر اهم وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى(٢) ٠

فهل انتشار المخدرات الآن ، وبهذا الشـكل الوبائى ، يعنى نوعا من انواع ضعف الوازع الدينى ، وفهما خاطئا لأحكام الدين الاسـلامى فى المخدرات ٠ ؟

***

● **اهميـة الدراسـة :**

تاتى اهمية الدراسـة ، من كونهـا تتعرض لظاهرة اجتماعيـة ، وهى ظاهرة تعاطى المخدرات ، التى انتشرت الآن ، حتى اخذت شكلا وبائيا ، وكثرت الندوات والمؤتمرات الدولية ، سواء فى مصر أو فى غيرها من دول العالم لمحاولة الوصول الى افضل الطرق لمقاومة ظاهرة تعاطى

---

(٢) انظر : سلوى على سليم ، الاسلام والضبط الاجتماعى القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٥

المخدرات . وطالما أن الظاهرة قد أخذت طابعا قوميا ودوليا ، فان على العلوم المهتمة بدراسة مثل هذه الظواهر ، ومن بينها علم الاجتماع ، أن تتصدى لها بالدراسة والبحث ، من خلال الواقع الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع المصرى .

وتعاطى المخدرات بانواعها فى مصر ، ليس مجرد ظاهرة ضمن ظواهر اجتماعية أخرى فقط ، ولكنه أخطر من ذلك بكثير ، لأن الاحصائيات الرسمية تقول : ان ما يضبط من المخدرات لا يزيد عن عشرة فى المائة مما يتم تهريبه الى مصر ، وبحساب ما ضبط ، وما تسرب ، يمكن القول أن ما يزيد على مليارين من الدولارات تتسرب سنويا من مصر الى الخارج ثمنا لهذه المخدرات(٣) .

واذا طبقنا هذه القاعدة على ما يتم زراعته من الأراضى المصرية ، والتى يتم ضبطها وهى مزروعة باشجار القنب والخشخاش التى يستخرج منها الحشيش والأفيون ، وهى حسب تقارير وزارة الداخلية (٢٠٠) ، مائتى فدان فيمكن القول أيضا أن ما يقترب من مساحة (٢٠٠٠) الفى فدان تزرع بنباتات المخدرات(٤) .

واذا وضعنا الـ ٢٠٠٠ مليون دولار ، والـ ٢٠٠٠ فدان ، وعائد الاثنين بالنسبة للاقتصاد المصرى الذى يعانى من الديون ، وأعباء خدمة هذه الديون ، لأدركنا خطورة ظاهرة تعاطى المخدرات ، على الاقتصاد المصرى ، والمجتمع المصرى .

وتاتى أهمية الدراسة أيضا من محاولتها الغوص فى أعماق الظاهرة بوسائل غير تقليدية ، فنحن كاجتماعيين ـ لا يكفينا البحث فى الأرقام والاستدلال بها ، على نمو الظاهرة واستشراؤها ، ولكن علينا متابعة الدوافع والأسباب المؤدية اليها ، فمادتنا العلمية ـ هى الانسان ـ ونتائج

---

(٣) التقرير السنوى للادارة العامة للمخدرات عامى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥

(٤) محمود محمد سيف ، محمد مدحت جابر ، مشكلة المخدرات فى مصر والعالم (منظور جغرافى) مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ، ١٩٨٥ ص ٢١

دراساتنا ، هى ما يكون بين يديه ، وقريبا منه لكى يعرف طريقه الأفضل ، والأمثل ، فى صياغة حياته بشكل يضمن له هـذا النوع من التوازن ، والتوافق الاجتماعى . لكى تكون حياته أقل قسوة ، وأكثر ثراء .

ومن أجل هـذا تسعى الدراسـة الى الكشف عن العلاقة بين التغير الاجتماعى ، الذى أنتج طبقـة اجتماعية ميسـورة ماديا ، ولكنها غير مسـئولة ، وغير متعلمة ، وبين تعاطى المخدرات بأنواعها ، وبخاصة السـموم البيضاء ، من هيروين وكوكايين وعقاقير وغيرها .

واهتمت الدراسـة أيضا بمتابعة معظم أو كل أنواع المخـدرات ، ماهيتها ، أماكن زراعتها ، وسائل ترويجها ، والآثار الصحية والنفسية التى تنتج عن التعاطى والادمان ، فبالاضافة الى المخدرات التقليدية التى لم يعرف المجتمـع المصرى سـواها ـ الحشيش والأفيون ـ حتى السبعينات (٥) . سعت الدراسة الى متابعة : السـموم البيضاء من هيروين وكوكايين وغيرها والعقـاقير بأنواعها ، وأنواع المخـدرات التخليقيـة والامفيتامينات وطرق تحضيرها ، وطرق تعاطيها ، وآثارها الجسـمية والنفسـية .

وتابعت الدراسة الأسباب والدوافع التى تقود الى تعاطى المخدرات ، وأهمها من الناحية الاجتماعية : الأسرة ودورها فى ذلك ، وصلة التغـير الاجتمـاعى بالأسرة المصرية ، فى ضعف سـيطرتها ، وتخاذل أدوارها الاجتماعية ، وعن صلة التغير الاجتماعى بالاقتصاد ، تابعت الدراسـة صلة العوامل الاقتصادية ، كأحد أسباب الادمان ، هـذا بالاضافة الى ما أحدثه التغير الاقتصادى الذى تلازم مع التغير الاجتماعى من تغير فى القيم الثابتة فى المجتمع المصرى ، والخلل الذى أصاب البنية الاجتماعية ، وانعكس على خلل لا يستهان به فى سلم القيم الاجتماعية .

بالاضافة الى دور أجهزة الاعلام ، والأعمال الفنية ، فى ازدياد

---

(٥) على زين العابدين محمد الرفاعى ، تقرير مصر ، ضمن تقارير الدول الى ندوة مكافحة جرائم المخدرات المقامة فى اليابان عام ١٩٨٨ م .

متعاطى المخدرات من الشـباب ، واثر اوقات الفراغ ، وعدم استخدامها واشغالها بما يفيد الشـباب ، ويقيهم من المخدرات ، وكذلك اثر جماعة الرفاق على اجتذاب أعداد جديدة من المتعاطين .

* * *

وتأتى أهمية الدراسـة أيضا من محاولتها الكشف عن انتشار ظاهرة تعاطى المخدرات بين الشـباب ، وضعف الوازع الدينى عندهم ، وبخاصة بعد صدور العديد من الكتب التى يحاول فيها كاتبوها ان يتستروا بالنصوص القرآنية والشرعية ، والتى لم يرد ذكر المخدرات بالاسم فيها ، وبالتالى التشكيك فى حرمانيتها ..

ان الشـاب الذى يقبل على تعاطى المخدرات ، هو انسان يعانى من فراغ روحى ، ولا يوجد فى داخله ما يعصمه من تدمير نفسه ، ولهذا حاولت الدراسة ان تربط بين علم الاجتماع كعلم له قواعده واصوله المنهجية فى البحث ، وبين الشريعة الاسـلامية ، بما تحتويه أيضا من قواعد واصول منهجية فى البحث عن خلاص الانسـان المسـلم ، لكى يكون مؤمنا قويا خير من أن يكون ضعيفا ، واثبتت ، بما لا يدعو الى الشك ، حرمانية المخدرات ، تماما كالخمر ، وان لم يزد عليها ، لأنها اكثر خطورة واشـد تدميرا للانسان .

وفى راينا أن الاكتفاء بالقول بحرمانية المخدرات من خلال النصوص القرآنية ، والسنة النبوية ، واجتهادات السلف الصالح ، فقط ، لا يؤدى الى النتيجة المرجوة .. لأن المهم هو تقبل الشـباب لقواعد التحريم هذه من خلال قلوب مؤمنة ، تعرف طريقها الروحى ، بشكل يساعدها على الخلاص من كل ما يعكر صفو حياتها ..

ويتصل بذلك أيضـا : انه لا يكفى أن نبحث كاجتماعيين ظاهرة التعاطى للمخدرات واسبابها الاجتماعية ، وفق مناهج بحوثنا الاجتماعية فقط ، وانما الأهم من ذلك كله هو ربط هـذه البحوث والمناهج بقواعـد واصـول الشريعة الاسـلامية ، ومن خلال اندماج الكل فى واحد ، يمكننا

ان نكون اكثر تأثيرا فى الواقع ، وتحـريكه فى الاتجاهات الايجابيـة المناسبة لمجتمعاتنا ..

لقد ثبت ان الرجوع عن التعاطى ، ونبذ المخدرات ، يرتبط اولا واخيرا بارادة المتعاطى ، وليس باية أدوية أو عقارات ، والذى يذهب الى المصحة أو المستشفى لكى تساعده على الخروج من مأزقه ، تكون فرصة علاجه افضل من الذى يذهب به اهله للعلاج . لأن ارادة المتعاطى هى الفيصل النهائى بين ان يشفى أو أن يعود . ولو اننا كنا جادين فى مقاومة ومكافحة المخدرات ، فلماذا لا نلحق بآلاف المساجد المنتشرة بمصر ، عيادة خاصـة للعلاج من الادمان ؟

عيادة يكون أول الطريق اليها : هو المسجد ، والتوبة ، ثم العلاج ..

* * *

ان ظاهرة تعاطى المخدرات بين الشـباب فى مصر لم تعد ظاهرة كاى ظاهرة اجتماعية ، يمكن معالجتها بالوسـائل والأساليب التقليـدية وبخاصـة الأمنية منها ، لأن معالجتها تكون أكثر فاعليـة ـ فى رأينا ـ لو اننا اسـتطعنا ان نكون حولها رأيا عاما اجتماعيا ، قويا ومستنيرا ، بخطورتها وخاصـة ان تجار ومروجى المخدرات فى العالم ، لجئوا مؤخرا الى أساليب جديدة فى التجارة والترويج .. فقد أذاعت الوكالة الدولية لمكافحة المخدرات التابعة للأمم المتحدة فى الثالث عشر من يناير عام ١٩٨٩ نداء قالت فيه : « ان وضع المخدرات بأنواعها فى العالم قد تفاقم بشكل مزعج ، وان المروجين الدوليين قد تحالفوا مع جماعات الارهاب الدولى لترويج المخدرات » . ويعنى هـذا اننا أمام تطور خطير فى مجال تجارة المخدرات الدولية ، فربما يأتى الوقت الذى تفرض فيه العصابات الدوليـة تجارتها من المخدرات على المجتمعات بالقوة المسلحة ، تماما كما حدث فى حروب الأفيون الشـهيرة ، التى حاربتها بريطانيا ضد الصين ، لكى تفرض عليها أن تترك شجار الأفيون الانجليز يبيعونه للشعب الصينى بدون تدخل من الحكومة الصينية ..

وهـذا الرأى العام المستنير الذى ندعو اليه فى مصر ، سيكون جزءا من راى عام دولى ، يحاول الآن ان يقول (لا) للمخدرات ..

ففى شهر يونيو عام ١٩٨٧ م انعقد فى مقر الأمم المتحدة فى فيينـا المؤتمر الدولى لمكافحة الاتجار غير المشروع فى المخدرات ، وحضرته مصر .

وفى خلال الفترة من ٢٥ نوفمبر الى ٢٠ ديسـمبر ١٩٨٨ عقد فى نفس المقر اجتماع للجنة عمل لكى تقر « الاتفاقية الدولية لمكافحة الاتجار غير المشروع فى المخدرات » وحضرته ايضا مصر ، حيث تم التوقيع على الاتفاقية فى العشرين من ديسـمبر عام ١٩٨٨ .

وقد عقدت هذه المؤتمرات ـ وغيرها كثير ـ تحت شعار«لا للمخدرات» وكان ضمن قرارات المؤتمر قرار « تنظيف الأموال » ويعنى انه من حق الدول ، مصادرة الأموال التى تأتى عن طريق الاتجار فى المخدرات .

فلماذا لا تقوم مصر بتنفيذ هـذا البند فى الاتفاقيـة التى وقعت عليهـا ؟ وان يأتى ذلك ضـمن القوانين العادية ، وليس ضـمن قانون الطوارىء . ان شـيئا من هـذا لو حدث ، سيكون جزءا من حملة قومية لمكافحة المخدرات ، تلك الحملة التى يجب ان تبدأ ، الآن وليس غدا ، لانتشال شبابنا من المخدرات التى بدأت تعصف بهم وبحياتهم ومستقبلهم . الذى هو مسـتقبل مصر .

* * *

من أجل كل ما ذكرناه ، وهو قليل ـ تاتى اهمية دراستنا هـذه ونحن بها نريد أن نكون قد أسهمنا فى دراسـة ظاهرة انتشـار المخدرات بين الشباب فى مصر . راجين ان تكون شـمعة على طريق مظلم ، يزداد الضوء فيه يوما بعد يوم بالعديد من الدراسات التى تضىء لشـبابنا طريقهم نحو غد اكثر عطاء واكثر اشراقا ، واقل قسوة مما هو عليه الآن .

دكتورة : سلوى على سليم

* * *